



زهران القاسمي

هطل المطر غزيراً، فسالت الوديان، ثم انبثقت الأفلاج من مواتها غزيرة حتى فاضت من السواقي، واستمر الخصب في الأرض بعدها لسنوات عدة، كانت الأمطار تهطل كل سنة متفرقة، فتغذي المياه الجوفية التي تخرج في الأفلاج. كانت نخيله بالقرب من الوادي، زرع الكثير منها حديثاً، وأغراه اتساع الوادي فأخذ جزءاً من الأرض وضمه في نطاق مزرعته، جلب التربة من الجبل، واستصلح الأرض للزراعة، ثم غرس فيها من شتى الأشجار ليمونا وأمبا ونخيلاً وسفرجلاً، وأبقى على جزء يقع على الضفة مباشرة فزرعه قنّاً وشعيراً للمواشي التي بنى لها رابية كبيرة في أقصى المزرعة ناحية الجبل. كانت جنة خضراء، سحرت أعين الناس في القرية، كيف لا والمياه والأرض الخصبة، أحاطها بسور منيع ثم بنى فيها منزلاً جميلاً، قضى فترة من الزمن يصمم غرفه، كان رجلاً فناناً، صمم تلك المزرعة كمحترف، حتى أن الكثير ممن كانوا يدخلونها منذ المرة الأولى، تصيبهم الدهشة، وكان البعض يعيد تكرار زيارته له حياً في البقاء في تلك الجنة الجميلة. عرض عليه الكثير من أصحاب الأموال بيعها، أغروه بأموالهم ونقودهم، تدخلوا في أولاده ليقتنعوه في البيعة، ولكنه رفض كلام الجميع، كيف له أن يبيع شيئاً صنعه بيديه

طوال تلك السنوات، هل ستعوض عليه الأموال والمزارع الأخرى التي سيشتريها جمال وأريحية المكان؟، هل ستسنيه ذاكرة الأمكنة الجديدة ذكرياته في كل شبر على أرض المزرعة؟ لذا جعل لهم أذناً صماء، ولم يستمع لكل الإغراءات والمحاولات، ولم يسكت عنه الناس، بل كانوا يحاولون معه بين الغيبة والأخرى. شجرة غاف كبيرة وقديمة كانت موجودة في المكان، لم يقطعها، بل أبقاها في مكانها فأضافت جمالا للمكان، شجرة غاف لا يعرف لها عمراً، عمرها من عمر هذه القرية، نبتت هنا منذ القدم، فكانت علامة من علامات القرية، لذلك فهو يحبها، بل استصلح له مجلساً ليقبلولته تحتها، فكان الناس يقصدونه فيجدونه هناك تحتها في أوقات راحته. ذات يوم قرر أن يصعد إلى الغافة، أغراه عش لبعض الطيور، فتسلق الشجرة حتى وصل قريباً من العرش، وهناك وجد مفاجأة بانتظاره على ذلك الارتفاع من الشجرة، وجد سراً لا يعرفه سواه، فهبط من الشجرة حزينا، اجتمع بأولاده وقال لهم لقد قررت أن أبيع المزرعة، تعجبوا من قراره، وهم من يعرفوه جيدا، كانت مسحة الحزن تعلق وجهه، كيف له أن يبيعها؟ تساءلوا كثيرا، ولماذا بعد أن رد الكثير من أصحاب الأموال؟ لكنه لم يخبرهم السبب، بل أراد أن يكسب من مزرعته ويسافر بعيداً عن القرية، فاتفق معهم على أنه قرر أن يبيع



## الفنون الجميلة في ميزان الإسلام

عبدالكريم الميمني\*



لقد اشتغل الكثير من المسلمين في دراسة قضية تحريم الدين الإسلامي لبعض الموضوعات والعناصر المستخدمة في الفنون الجميلة، وكان لهذا الأمر ردود فعل متباينة بين جماعة المسلمين وأدت ببعض منهم بالتوقف الكلي عن ممارسة هذا المجال رغم وجود جانب الإبداع الفني في دواخلهم، والبعض الآخر من المسلمين نظر إليه بنظرة وسطية، فهذا وفق نظرتهم قد أخذ الجوهر وقدم حواصل الإبداع حتى أصبح يشار إليه بالبنان لجمال وروعة فنه الأصيل. إلا أن للمسلمين عموماً نظرة خاصة متميزة في مجال الفن والجمال تأثرت بشكل كبير بالشرع وطبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة قبل الإسلام، ومنذ البداية وقف الإسلام ضد أي سلوك أو أمر يؤدي إلى انحراف خلقي أو ارتداد نحو مظاهر الجاهلية وكانت الفنون من ضمن الأمور التي قاومها المسلمون خوفاً من أن تؤثر سلباً على المجتمع الإسلامي. وفي ذلك يقول أبو صالح الألفي في كتابه الفن الإسلامي أن المجتمع العربي القديم اطلع على فنون الشعوب المجاورة وتأثروا بها، كالفن الساساني والبيزنطي والقيبطي، إلا أنهم ابتعدوا عن تصوير الأحياء حتى قبل الإسلام وذلك مرده إلى طبيعة حياتهم التي تدفعهم إلى التأمل الدائم والتفكير بمظاهر الكون وأسراره، مما جعلهم يعتقدون بوجود إله يرتقي فوق مستوى البشر، فحاولوا الابتعاد عن تصوير الإنسان لاعتقادهم بقصوره إلى جانب الإله وعظمته وكان ذلك بمثابة رفض للفن الإغريقي، الذي مجد الإنسان وعظمه ووصل به إلى أعلى المراتب. أما بعد الإسلام فقد تخوف المسلمون من الفن فابتعدوا عن النحت لأنه يذكّر بعبادة التماثيل التي كانت سائدة في الجاهلية، وكذلك حاولوا الابتعاد عن الشعر في البداية لأنه يمثل أهم مظاهر الجاهلية علماً بأن القرآن الكريم لم يتعرض صراحة لموضوع التصوير، إلا أنه روي أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم تشير إلى أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة هم المصورون، وأن الملائكة لا تدخل البيت الذي يحوي صورة، أما الفقهاء فقد اختلفوا حول التصوير، ومرر هذا الاختلاف هو الموضوعات التي يتناولها الرسامون في أعمالهم.

أما علماء الدين المعاصرون فقد أباحوا التصوير لهدف علمي أو فني، حيث قال الشيخ محمد عبده: "يغلب على ظني أن الشريعة أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم، وذلك بعد التحقق أنه لا خطر منه على الدين، لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل" ولو فرضنا أن القرآن الكريم حرم فعلاً تصوير الأحياء فإنه حرم الكائنات حيث هاجم الفقهاء علم الكلام والفلسفة والمنطق والتصوف. ومن الجائر أن نتحدث عن تحريم الفقهاء للتصوير أدى إلى عرقلة الفن الإسلامي خاصة في مراحلها الأولى لكن ما لبث أن تحول الفنانون إلى فن الزخرفة مع الامتناع عن محاكاة الأحياء، وفي هذه المرحلة ظهرت إبداعات الفنان المسلم حتى غدت فنا مزدهراً يستحق الدراسة والتقدير. وعلى ذلك فقد تميز المسلمون عن غيرهم بأن جعلوا العقل هو المعيار الأصيل في الفن، حيث كانت قيمهم منطلقاً من القيم الأخلاقية الجمالية، وتمثل هذا في موقف أبو حامد الغزالي حينما اعتبر تذوق الجمال بحاسة القلب إذا ارتبط بالقيم الأخلاقية والفضائل والوجدانيات، وكذلك يمكن إدراكه بالعقل إذا ولدت المدركات لذة عقلية تدفعنا إلى استعمال القياس والتقويم. أما محمد قطب فقد رأى أن الصن والذهن يشتركان في تذوق الجمال وتقييمه لأن الجمال مجاله الحس، إلا أن الذهن يضع لتقويم الجمال معايير متناعمة مع المظاهر الجمالية للكون، تكمن في الدقة والتوازن والترابط، بحيث لا تتعارض مع أهداف العقيدة وأهداف المجتمع الفاضلة في جميع مجالاتها، وتتسامى عن الإمتاع الحسي المجرد إلى التعبير عن الجمال الأكبر(المستمد من ناموس الكون، وهو الذي يجب أن تمارسه الفنون الإنسانية الرفيعة التي تتجاوز تجاوباً صحيحاً مع حقيقة الوجود).

وبذلك نستنتج أنه ليس من الضروري أن يعبر الفنان المسلم مباشرة عن الإسلام والعقيدة، بل يعبر عن حقائق جوهرية في الوجود تتفاعل معها واستشعرها من منطلق إسلامي. ومع أن الفنان المسلم تجنب دائماً تصوير الإنسان، إلا أنه عندما عبر عنه، تعامل معه كعنصر قوي لا يخضع لصراعات المجتمع وقوى الاقتصاد والمادة، بل هو الذي يخضع هذه القوى ويسخر الموجودات التي تحيط به من خلالها، من أجل أهداف فاضلة ونبيلة. والانفعال في نظر الفنان المسلم شيء لحظي ذنيوي لا يستحق التخليد في عمل فني أما الإمتاع في الجمال يجعله في أدنى المراتب، لأن الفنان المسلم يطمح إلى مستويات أرقى من إمتاع الرغبات والشهوات، فكان الفن الإسلامي إعلاء لشهوات الإنسان الدنيوية إلى مستوى يتمثل في تعاطفه الدائم للمعرفة، وهكذا أفلت الفنان المسلم من الكبت ليصل في مستواه إلى الجمال الأكبر الذي يتمثل في الفضائل ليكون تأثيره في المجتمع إيجابياً وذا عطاء متواصل.

al-maimani@hotmail.com



مختارات - صالح العامري \*

أهلكته. ثم صاح بالسارق ووثب إليه بهراوة كانت عند رأسه، فلم يكن للسارق حيلة إلا الهرب منه، وترك رداءه ونجا بنفسه، وغدا الرجل به كاسياً.

\*\*\*\*\*

اللصّ المخدوع، من "كليّة ودمنة": زعموا أن تاجراً كان له في منزله خابيتان، إحداهما مملوءة حنطة، والأخرى مملوءة ذهباً. فترقبه بعض اللصوص زماناً، حتى إذا كان بعض الأيام تشاغل التاجر عن منزله، فتغفله اللصّ ودخل المنزل، وكمن في بعض نواحيه. فلما هم بأخذ الخابية التي فيها الدنانير أخذ التي فيها الحنطة، وظنّها التي فيها الذهب. ولم يزل في كرتع، حتى أتى بها منزله، فلما فتحها وعلم ما فيها ندم.

\*\*\*\*\*

المصرف اللص، حسب "إدواردو غالينانو"، من "أقوال الزمن". ت. صالح علماني:

في أميركا اللاتينية، كانت الديكتاتوريات العسكرية تحرق الكتب الهادمة. والأن، في الديمقراطية، يجري إحراق دفاتر الحسابات، وكانت الديكتاتوريات تخفي آثار الناس، أما الديكتاتوريات المالية فتخفي آثار الأموال.

في يوم من الأيام، رفضت بنوك الأرجنتين إعادة الأموال إلى المخبرين. كان نوربيرتو روجلينتش قد خبأ مدخراته في المصرف، كيلا تأكلها الفئران ولا يسرقها اللصوص، وعندما سطا عليها المصرف، كان دون نوربيرتو مريضاً جداً: لأن السنوات لا تتوالى وحدها، والمعاش التقاعدي لا يكفي لدفع ثمن الأدوية.

وهكذا لم تبق أمامه وسيلة أخرى: ففي يأسه، دخل إلى القلعة المالية، ودون أن يطلب إذناً من أحد، شق طريقه إلى مكتب المدير وكان يندف في قبضته، على رمانة يدوية، قائلاً: إما أن تعيدوا إلي نقودي أو نظير جميننا معاً. رحمة الالهة، ولكنها حققت المعجزة: فقد سلمه المصرف النقود.

بعد ذلك: اقتيد دون نوربيرتو سجيناً. طلب المدعي العام من ثماني إلى ست عشرة سجناً له، وليس للمصرف.

\*\*\*\*\*

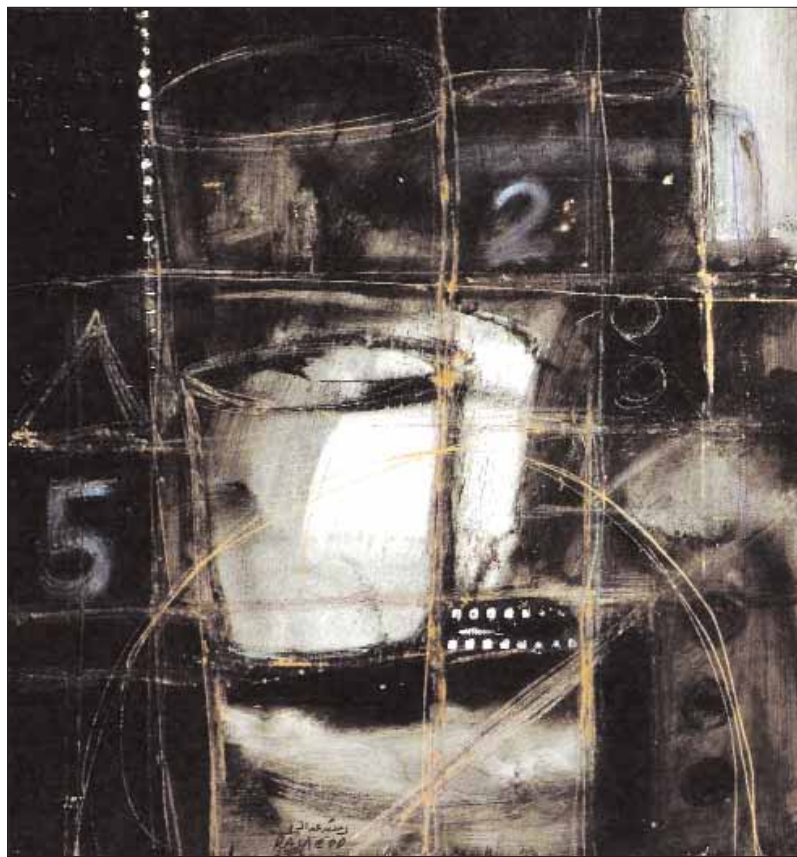
لصّ الكرز، قصيدة للشاعر والمسرحي الألماني برتولد بريخت، لحنها أيزلر عام ١٩٤٢ لتغني بمصاحبة البيانو. ت. أحمد حسان:

ذات صباح باكراً، قبل صباح الديك بكثير أيقظني صغير فذهبت إلى النافذة. فوق شجرة كرز - والفجر الرمادي يملأ الحديقة - جلس شاب، في سروال مرع يلتقط كرزاتي بمرح، وحين رأيته: أوماً، وبكلتا يديه حشر في جيوبه الكرزات من الغصون. لفترة طويلة وأنا أتمدّد ثانية في الفراش ظللت أسمع يصفّر أغنيته الصغيرة المرحّة.

\* شاعر عماني

## وجوه وظلال (٢٩)

# لصوص



اللوحة للفنان رشيد عبدالرحمن

الصلب. فقال: أوتحسب أن المصلبين كانوا أولئك الغلمان؟ وبأي وجه كنت ألقى الله تعالى يوم القيامة: لو صلبتهم لأجل البطيخ؟ وإنما أمرت بإخراج قوم من قطاع الطريق: كان يجب عليهم القتل، وأمرت أن يلبسوا أقبية الغلمان وملابسهم: إقامة للهيبة في قلوب العسك. ليقولوا: إذا صلب أخض غلماناً على غضب البطيخ، فكيف يكون على غيره؟ وكنت قد أمرت بتلثيمهم ليستتر أمرهم على الناس.

\*\*\*\*\*

من شذرات إميل سيوران: العقل هو المستفيد الكبير من هزائم الجسد. يثري على حسابه، يسلبه، يهمل لأساسه، يعيش على اللصوصية.

الحضارة مدينة بنجاحها قاطع طريق. بحذر شديد أحوم حول الأعماق، أختلس منها بعض الدوار، ثم أنفلت مثل لص الأغوار.

\*\*\*\*\*

الفقير والصلص، من "كليّة ودمنة": يحكى أن رجلاً كان به فاقة وجوع وعزّي، فألجأه ذلك إلى أن سأل بعض أقاربه وأصدقائه، فلم يكن عند أحد منهم فضل يعود به عليه. فبينما هو ذات ليلة في منزله إذ بصر بسارق في المنزل. فقال لنفسه: والله ما في منزلي شيء أخاف عليه، فليجهد السارق جهده. فينما السارق يجول، إذ وقعت يده على خابية فيها حنطة. فقال السارق: والله ما أحب أن يكون عنائي الليلة باطلاً، ولعلي لا أصل إلى موضع آخر، ولكني سأحمل هذه الحنطة خبز من المرحوم من غير شيء. ثم بسط رداءه ليصّب عليه الحنطة. فقال الرجل: يذهب هذا بالحنطة وليس ورائي سواها، فيجتمع علي مع العزّي ذهاباً ما كنت أفتات به، وما تجتمع والله هاتان الخلتان (أي الفقر والحاجة) على أحد إلا

قال: لا بأس بذلك، فقد روينا عن الإمام مالك أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل عرياناً. قلت: فيلقاني الناس فيرون عورتي؟ قال: لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها. قلت: أراك ظريفاً، فدعني حتى أمضي إلى بستاني وأنزع هذه الثياب فأوجه بها إليك. قال: كلا، أردت أن توجه إلي أريعة من عبيدك فيحملوني إلى السلطان فيجسني ويمرّق جلدي. قلت: كلا، أخلص لك أيماناً أني أفي لك بما وعدتك ولا أسوءك. قال: كلا، فقد روينا عن الإمام مالك أنه قال: لا تلزم الأيمان التي يخلص بها للصوص. قلت: فأخلص أني لا أختل في أيادي هذه. قال: هذه يمين مركبة على أيمان اللصوص. قلت: فدع المناظرة بيننا فولله لأوجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي. فأطرق ثم رفع رأسه وقال: تدري فيم فكرت؟ قلت: لا. قال: تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا فلم أجد لصاً أخذ نسبيةً. وأنا أكره أن أبتزع في الإسلام بدعة يكون علي وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة. اخلص ثيابك؛ فخلصتها ودفعتها إليه، فأخذها وانصرف.

\*\*\*\*\*

سارقو البطيخ، من كتاب "قوات الوفيات" لابن شاعر الكندي: حكى ابن حمدون النديم أن الخليفة المعتض العباسي كان قد شرط علينا أننا إذا رأينا منه شيئاً ننكره نقول له، وإن اطلعنا على عيب واجهناه به. فقلت له يوماً: يا مولانا، في قلبي شيء أردت سؤالك عنه منذ سنين. قال: ولم أختره إلى اليوم؟ قلت: لاستصغاري قدرتي ولهيبه الخلافة. قال: قل ولا تخف. قال: اجتاز مولانا ببلاد فارس، فتعرض الغلمان للبطيخ الذي كان في تلك الأرض، فأمرت بضربهم وحبسهم، وكان ذلك كافياً. ثم أمرت بصلبهم، وكان ذنبهم لا يجوز عليه

من روضة الورد لسعدي الشيرازي: دخل لص إلى بيت عابد، وبعد البحث الكثير ضاق صدره؛ لأنه لم يجد ما يسرقه. ولما فطن له العابد ألقى البساط الذي ينام عليه في طريقه؛ لنلا يعود محروماً.

\*\*\*\*\*

اتفق على السياحة جماعة من التجردين، وعزمت على مشاركتهم في السراء والضراء، ولما طلبت مرافقتهم امتنعوا عن تحقيق رغبتهم، فقلت: إن من الغريب في أخلاق الكبراء أن يعرضوا بوجههم عن مرافقة الفقراء، وأن يغفلوا عن الاستفادة من صحبتهم، وأنا أحس أن في نفسي من القوة والقدرة ما أستطيع به أن أخدم إخواني بحدق وإخلاص وألا أكون عالة عليهم.

فقال لي أحدهم: لا يضيق صدرك بما سمعت؛ فقد جاء إلينا منذ أيام لص بصورة الدراويش لا بصفتهم، وانتظم بسلك صحبتنا، وحيث إن شأن الدراويش حسن الفن بالناس؛ ما فطنا لسوء قصده، وقيلناه رفيقاً لنا. وصفوة القول أننا سرنا في يوم من الأيام حتى داهمنا الظلام، فبتنا تحت قلعة هناك، أما اللص عديم التفويق فحمل إبريق رفيق لنا وذهب للطهارة، ولم ندر أنه تأهب للغارة. ولما توارى عن نظرك أولئك الفقراء صعد إلى برج، وفاز منه بسرقة درج. وما لاح النهار حتى أوغل ذلك المظلم القلب في القفار، وأما الرفاق الأبرياء ففي الصباح سيقوا جميعاً إلى القلعة، وزج بهم في غيابة السجن. ومن ذلك التاريخ قلنا بترك الصحبة ولزمتنا طريق العزلة...

\*\*\*\*\*

أغار جماعة من قطاع الطريق على قافلة كانت تسير في أرض يونان، فسلبوا كل ما تملكه من مال ومتاع. فناحت القافلة وأعولت، وتشغفت بالله ورسوله، فلم يجدها ذلك نفعاً.

وكان في القافلة لقمان الحكيم، فقال له أحد المسلوبين: ألا تلقي يا سيدي على هؤلاء كلمات من الحكمة والموعظة، فعسى أن يتركوا بيدنا بعض ما سلبوه منا، فوا أسفاه على هذه النعمة الوافرة التي تضيع سدى. فقال له لقمان: وبيا خسارة الكلمة الحكيمة التي تلقي على أمثال هؤلاء.

إن الحديد متى أودي به صدأً فليس بالصقل تبدو منه آثارٌ لا يدخل الوغظ قلباً مظلماً أبداً ولا يغوص بقلب الصخر ميسارٌ

\*\*\*\*\*

الصلص الفقير، من كتاب "أخبار الأذكيا" لابن الجوزي:

حدث بعض جلساء عبد الملك بن مروان، قال: خرجت إلى بستان لي بالعناية، فلما دخلت في الصغراء وبعثت عن البيوت، تعرّض لي رجل فقال: اخلع ثيابك؛ فقلت: وما يدعوني إلى خلع ثيابي؟ قال: أنا أولى بها منك. قلت: ومن أين؟ قال: لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكسو. قلت: فأعطيك بعضها. قال: كلا، قد لبستها كلها وأنا أريد أن لبسها كما لبستها. قلت: فتعريني وتبدي عورتي؟

لصحت فن عظيمة  
من فنون الكلام!

وليم هنرييت

الآراء والمقالات المنشورة في الملحق لا تعبر بالضرورة عن رأي